الأسرار البلاغية لحذف "حرف النداء"يا"، وحرفا العطف(الواو،و الفاء)

في القرآن الكريم نماذج من سور الربع الثاني

الأستاذ: عبد الله وايني

جامعة ورقلة

ملخص بالعربية

ينطوي كتاب الله سبحانه وتعالى على أسرار ومكنونات بلاغية كثيرة كانت ولا تزال مقصداً للمتطلعين إلى البلاغة في أرقى وأعلى مستوياتها، فهو الكتاب الذي يجد فيه كل حيران ضالته وبغيته، ولذا فإن المهتمين بالبلاغة العربية وأسرارها اتخذوا من كتاب الله سبحانه ميدانا خصبا لدراساتهم وبحوثهم فغاصوا فيه واستخرجوا مكنوناته وما فيه من أسرار بلاغية مرتبطة بمواضيع البلاغة العربية المتعددة، وفي هذا المقال حاولت الوقوف على سر من هذه الأسرار والمتمثل في إبراز السر من وراء حذف بعض حروف المعاني وأخصص دراستي هذه بإبراز سر حذف حرف النداء"يا" خاصة مع الرب تعالى، وكذا حرفا"الواو والفاء" في باب العطف، وقد عالجت الموضوع وفق الأتي:مقدمة فتعريف للحذف ثم أسرار حذف"يا"، ثم أسرار حذف حرفا"الواو والفاء"، ثم خاتمة.

Summary English

Involves the Book of Allah Almighty on the secrets of many rhetorical and Mknunat was and still is a popular destination Almttalaaayn to rhetoric in the most prestigious and highest level, it is the book in which it finds all Hiran wandering and Bgith, so those interested in Arabic rhetoric and its secrets taken from the Book of Allah Almighty arena ground for their studies and their research Fgasoa it and extracted mastery and the secrets of rhetoric associated with the themes of multi-Arab rhetoric, and in this article I tried to stand on the mystery of these secrets and of highlighting the secret behind the deletion of some letters meanings and devote my studies this by highlighting the mystery delete appeal letter "O" especially with the Lord Almighty, as well as characters "waw and Fa" in the door of kindness, has addressed the subject in accordance with the following: Introduction The definition for deletion and then delete the secrets of "O", and then delete the secrets of characters "waw and Fa", and then a conclusion

مقدمة:يعد النص القرآني في أعلى المستويات الكلامية بلاغة وفصاحة وبيانا، والسبب في ذلك يعود إلى أن هذا الكلام ليس كلام بشر ولكنه كلام رب البشر الذي صورهم و أحسن صورهم أنزله على قلب نبيه الذي اصطفه من بين خلقه فقال في ذلك:(وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)

كلام تحدى به أرباب الفصاحة وأساتذة البلاغة والبيان تعددت فيه وجوه البلاغة والبيان فكان ملاذ ومقصد كل متطلع تواق إلى تذوق البلاغة في أسمى حللها وأبهى صورها، ومن ثم كان القرآن الكريم هو المنهل العذب والمنبع الفياض الذي نهل منه كل من تصدر للبحث في ميدان البلاغة والبيان فكثرت الدراسات حوله من باحث في علم بيانه وإبراز وجوه البيان، وباحث في علم بديعه بإبراز الوجوه البديعية فيه، وباحث في علم معانيه بإبراز أساليبه المتعددة، ومما تعلق بهذا العلم الأخير– علم المعاني– سأسعى في هذا المقال إلى إبراز أسرار أسلوب من الأساليب وصفه شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني بأنه دقيق المسلك لطيف المأخذ شبيه بالسحر إنه أسلوب الحذف في القرآن الكريم الذي تنوع فمنه حذف الاسم، ومنه حذف الفعل، ومنه حذف الجمل، ومنه حذف حروف المباني وحروف المعاني وسأقتصر في هذا المقال على إبراز الأسرار البلاغية لثلاثة حروف من حروف المعاني هي:(ياء النداء وحرفا العطف الواو والفاء)، وقد عالجت الموضوع وفق الخطة الآتية:

- مقدمة
- تعريف الحذف
- أسرار حذف حرف النداء"يا"
- أسرار حذف الواو
- أسرار حذف الفاء
- خاتمة

الحذف أسلوب من أساليب اللغة العربية التي تنعم بها وهو ضرب من أضرب الإيجاز والاقتصاد في الكلام فنستغني به عن ذكر ما يفهم من السياق، أو ما دل على حذفه دليل كان المحذوف اسما أو فعلا أو حرفا أو جملة، وللحذف مزية في الكلام وأسرار ومكامن ينطوي عليها فما ترك ذكره قد يكون حذفه أبلغ من ذكره كما أشار لذلك عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) عند حديثه عن الحذف قائلاً: فإنَّكَ ترى به تَرك الذكرِ، أفصَحَ من الذكرِ، والصمتَ عن الإفادَةِ، أزيَدَ للإفادة، وتجدُك أنطَقَ ما تكون إذا لم تنطِق، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِن"([1]).

ولعلنا سنقف على بعض هذه الأسرار للحذف في هذا الموضوع المتعلق بحذف حرف النداء في القرآن وحرفا العطف الواو والفاء وذلك بعد تعريف هذا المصطلح.

تعريف الحذف: في اللغة:كلمة (حذف) في المعاجم اتخذت دلالات متعددة تدرك من خلال السياق الذي وظفت فيه الكلمة، فقد تعني الرمي مطلقا، أو الرمي عن جانب ومنه قول العرب "حذفته بالعصا"أي:رميته بها، جاء في الصحاح للجوهري(ت392هـ): "حذف الشيء إسقاطه، وحذفه بالعصا رماه بها، وحذف رأسه بالسيف إذا ضربه فقطع منه قطعة."([2])

وقد تعني الضرب مطلقا،أو الضرب عن جانب، وبين الرمي والضرب علاقة مماثلة فكل منهما يماثل الأخر في التأثير، ففي اللسان لابن منظور(ت711هـ): "والحذف الرمي عن جانب والضرب عن جانب أورماه عنه، وحذفه بالعصا و بالسيف يحذفه حذفا وتحذَّفه ضربه أورماه بها، والحذف يستعمل في الرمي والضرب معاً.

وتعني الوصل كقولهم: "حذفني فلان بجائزة" أي وصلني بجائزة، وتعني الكلمة أيضا القطع مطلقا، أو القطع من الطرف كقولهم:"حذف الحجام الشعر" أي قطعه من طرفه، وبين معنى القطع والوصل علاقة تضاد، فالوصل ضد القطع، وقد تعني الإسقاط مطلقا ومنه قولهم "حذفت من ذنب الدابة". و هذا المعنى له صلة وطيدة بموضوع الحذف الذي نحن بصدد دراسته.

أما في الاصطلاح:فقد كثرت تعاريفه و سنقتصر على تعريف أو تعريفين فقط منها:عرفه الرماني (ت384هـ)قائلاً:(الحذف هو إسقاط كلمة للاجتزاء عنها، بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام)([3]).

فهو يرى أن الحذف إسقاط لعنصر من عناصر الكلام لدلالة الحال على المسقط، أو فحوى الكلام.

وعرفه الزركشي (ت794هـ) بقوله: هو إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل"([4]).

فالحذف في نظره إسقاط لجزء من أجزاء الكلام، أو إسقاط للكلام كله ولكن بشرط وجود ما يدل عليه.

إذا علمنا أن الحذف هو إسقاط لعنصر من عناصر النص فهذا الإسقاط ليس ضربا من العبث بل لمزية وسر من الأسرار أرادها المرسل للمرسل إليه وهذا ما سنستشفه مع حذف هذه الحروف

- الأسرار البلاغية في حذف حرف النداء"يا":

حرف النداء "يا" تكرر في القرآن الكريم في عدة آيات خاصة مع الرب تعالى ، ولكن اللافت للنظر بعد تعقب هذا الحرف و التمس مواطنه في التنزيل، أنه على كثرة ما نودي الحق تبارك وتعالى فإنه لم ينادى بغير هذا الحرف دون الأدوات الأربع الخاصة بالنداء" الهمزة وأيا وهيا وأي" ولعل السبب في ذلك يعود إلى كثرة استعمال الأداة "يا" من قبل الخاصة والعامة فهي أم الباب وبالتالي عند الحذف لا تقدر إلا هي. ولقد شدني تعليل للدكتور عبد العظيم المطعني حول سر إيثارها دون باقي الأدوات قال فيه "ولعل السر في إيثار القرآن الكريم لحرف النداء"يا" دون غيره لأن هذه الأداة تكون

الوسيلة الطبيعية في النداء.إذ هي أكثرها استعمالاً، ولأنها أم الباب، ولأنها أخف أحرف النداء في النطق لأنها تبدو في خفة حركتها كأنها صوت واحد، ولأنها للبعيد والقريب.

أما الأربع الأخر – وهي الهمزة وأيا وهيا وأي – فإن كلاً منها يبدأ بحرف من حروف الحلق وهي أثقل الأصوات نطقاً "([5])، والأمر الأخر أنه نودي بها الرب وهي محذوفة ودل السياق على حذفها ، ومما لايدع مجالاً للشك أن حذف هذا الحرف ينبئ عن سر وغرض اقتضى حذفه ، وهو ما نستشفه من الآيات التي نودي فيها الرب تعالى بغير"يا" النداء مثل قوله تعالى:- (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ **رَبِّ** أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ)[الأعراف:143].

- (قَالَ **رَبِّ** اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)[الأعراف:151]

- (قَالَ **رَبِّ** لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا)[الأعراف:155].

- (**ربِّ** اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ)[إبراهيم:40].

- (قَالَ **رَبِّ** فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)[الحجر:36].

- (قَالَ **ربِّ** بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ)[الحجر:39].

هذه بعض الآيات التي حذف فيها حرف النداء في الربع الثاني من القرآن الكريم وبإلقاء نظرة على الآيات نلاحظ أنها تجردت من حرف النداء، والمنادى فيها هو الرب سبحانه وتعالى، ولا يخفى على أحد أنه مالك كل شيء وهو مدبر شؤون العباد، وقاضي حوائجهم، وكلهم مفتقرون إليه مؤمنهم وكافرهم، ولهذا فهم يتوجهون إليه في تحقيق مطالبهم وينادونه، ولنأخذ على سبيل المثال توجه موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم بالدعاء إلى الله بالمغفرة والصفح عما صنع القوم من عبادة العجل كما نطقت الآية بذلك إذ يقول تعالى على لسانه: (قَالَ **رَبِّ** اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [الأعراف:151] ، فهو يلتجأ إلى الله ويقبل عليه طالباً منه المغفرة له ولأخيه وإدخالهما في رحمته، بل إن الطلب والالتماس من الله في تحقيق المطلوب كان حتى من أكبر المتكبرين، وأعند الخلق إبليس عليه لعنة الله قال تعالى على لسانه: (قَالَ **رَبِّ** فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) [الحجر:36] فهو يلتمس التأخير من الله إلى يوم يبعثون وإذا تأملنا الآيتين ندرك بدون عناء أنهما تجردتا من "يا" النداء وعليهما تجري كل الآيات التي حذف منها حرف النداء . ومن المعلوم أن "يا" عند النحاة تستعمل للبعيد ، و الآيات السابقة لا يصلح معها إلا هذا الحرف.

ومما هو متعارف عليه أن النداء فيه نوع من الطلب ولا يليه في الغالب إلا الأمر، أو النهي، والأمر والنهي فيهما طلب الفعل، أو الكف من الأعلى إلى الأدنى ولما كان المنادَى هو الله سبحانه وتعالى، حذفت الأداة لتوحي بأن الطلب على وجه الدعاء أو الالتماس تأدباً مع الله ويؤيد ذلك قوله تعالى على لسان زكرياء:(كهيعص ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ **رَبِّ** إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ **رَبِّ** شَقِيًّا)[مريم:1-4] انظر كيف بين المولى حاله حين دعاه قال:نداء خفيا بصوت خافت فيه نوع من التذلل و التضرع والتواضع والالتماس، ولو عدنا للآيتين السابقتين للمسنا فيهما أن موسى نادى ربه بصيغة الدعاء بالمغفرة والرحمة، وإبليس نادى بصيغة الالتماس بالتأخير

إلى يوم البعث وكل هذا بدون أداة وفي حذفها **تنزيه وتعظيم له سبحانه** من الأمر والنهي، فهو المطلوب الذي يرجى منه قضاء الحوائج كلها وبالتالي لا يؤمر ولا ينهى

قال مكي(ت437هـ): ونداء "الرب" قد كثر حذف "يا" النداء منه في القرآن؛ وعلة ذلك أن أن في حذف "يا" من نداء الرب تعالى، فيه معنى التعظيم له والتنزيه، وذلك أن النداء فيه ضرب من معنى الأمر، لأنك إذا قلت: يا زيد، فمعناه: تعال يا زيد، أدعوك يا زيد، فحذفت "يا" من نداء الرب ليزول معنى الأمر وينقص؛ لأن "يا" تؤكده وتظهر معناه، فكان في حذف"يا" التعظيم والإجلال والتنزيه للرب تعالى، فكثر حذفها في القرآن والكلام في نداء الرب لذلك المعنى"([6])، ونفس الكلام نجده عند السيوطي(911هـ): "وفي العجائب للكرماني كثر حذف "يا" في القرآن من الرب ؛ تنزيهاً وتعظيماً؛ لأن في النداء طرفاً من الأمر"([7])أي أن في إظهار"يا" إيحاء بالأمر والتكليف وهذا لا يليق في هذه المواضع.

وحذف (يا) يوحي أيضاً بأن المنادَى – الله سبحانه وتعالى – ليس بعيداً عن المنادِي ، بل هو قريب منه قال تعالى:(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)[البقرة:186]، فالله قريب من عباده يسمعهم حين ينادونه بدون واسطة ، وحذف الأداة يوحي بشدة القرب منه حتى وكأنها واسطة فحذفت **مبالغة في تبيين القرب منه** فحذف الأداة أسهم في تقريب الصلة بين المنادَى والمنادِي([8]).

يقول الدكتور بدوي في هذا الشأن:" ولا يكاد يستخدم حرف النداء مع الرب ، بل ينادى مجرداً من حرف النداء ، ولعل في ذلك تعبيراً عن شعور الداعي بقربه من ربه"([9]). يضاف إلى ما سبق أن حذف الأداة جعل هذه الآيات غاية في **الإيجاز والاختصار** فأضحت موجزة مختصرة توحي بمصدرها ومنبع صدورها وأنها من لدن حكيم خبير.

وكما حذفت الأداة مع الرب حذفت مع غيره ولا نكاد نعثر في الربع الثاني إلا على موضعين وردا في سورة يوسف في الآيتين الآتيتين:

– قال تعالى:(يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ)[يوسف:29]. وفي حذفه نوع من **التخفيف** فبعد ما جرى من أمر امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام وقصها القصة لبعلها حينما التقيا لدى الباب وبقيت تقص عليه الخبر، وشهد الشاهد من أهلها بما كان، وهما في موقف واحد فناده باسمه بدون أداة لأنه كان قريباً منه و"يا" تستعمل للبعيد، و في ندائه باسمه تقريب له وتلطيف كما ذكر الزمخشري في الكشاف([10])

– قال تعالى:(←يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ)[يوسف:46] وحذفت الأداة **للتخفيف** وضيق المقام في الآيتين ورغبة في إنهاء الحديث"([11]).

يقول أبوشادي:"فحذفت (يا) لضيق المقام فإن الحال يدل على الرغبة في إنهاء الحديث وعدم التطويل فيه"([12])

– **الأسرار البلاغية في حذف حرفي العطف(الواو والفاء):** تتبوأ حروف العطف في البلاغة العربية مكانة عالية، وعليها مدار باب من أبواب البلاغة العربية هو باب الفصل والوصل، الذي عده البعض هو البلاغة نفسها لما فيه من خفايا وفنون ، وما سواه تابعاً له يقول العلوي: " هو باب دقيق المجرى ، لطيف المغزى، جليل القدر، كثير الفوائد، غزير

الأسرار، ولقد سئل بعض البلغاء عن ماهية البلاغة ، فحدها بمعرفة الفصل، والوصل، وجعل ما سواه تبعاً له ، ومفتقراً إليه ، وقاعدته العظمى حروف العطف"([13]).

وما يعنينا في هذا المقام "الفصل" كونه ينبئ عن حذف حرف العطف ، وترك العطف لشدة الالتحام ، والاتصال بين العبارات، والجمل، بأن تكون الجملة الثانية على صلة بالأولى جواباً عن سؤال نشأ عن الجملة الأولى، أو تأكيداً أو بياناً لها ، أو بدلاً منها.

1- **الأسرار البلاغية في حذف الواو:** تحذف الواو من الكلام والمقصد من وراء حذفها تحقيق غاية وغرض،أو فائدة مرجوة من وراء ذلك الحذف:

- حذف الواو لدفع توهم اتصال المتعاطفين:

وذلك في قوله تعالى:(**لَقَدْ** أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)[الأعراف:59] يوحي سياق الآية بحذف الواو في مطلع هذه القصة إذا ما قورنت بالقصة ذاتها في سورة هود والمؤمنون فقد صدرت القصة فيهما بقوله:(ولقد أرسلنا)، والسر في حذف الواو في هذه القصة في سورة الأعراف أنها لم يسبقها كلام عن إرسال الرسل فلم يكن هناك ما يقتضي العطف بالواو، بينما في سورتي هود والمؤمنون فهناك ما اقتضى العطف بالواو، ففي سورة هود تقدمها كلام عن رسالة محمد ﷺ، وفي المؤمنون تقدمها كلام معطوف على بعضه حول تعدد النعم من نعمة الخلق والإيجاد والإحسان فناسب عطفها أيضاً بالواو، ولقد تنبه علماء المتشابه للسر وراء حذف الواو في سورة الأعراف وذكرها في سورتي هود والمؤمنون.

يقول الإسكافي(ت420هـ): "إن الآيات التي تقدمت قوله تعالى:(**لَقَدْ** أَرْسَلْنَا نُوحًا) إلى أن اتصلت به في وصف ما اختص الله عزوجل به من أحداث خلقه وبدائع فعله من حيث قال :(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)[الأعراف:54] إلى أن ذكر الشمس، والقمر، والرياح والأمطار، والنبات، والسهل من الأرض والطيب والحزن منها والصلد، ولم يكن فيها ذكر بعثة نبي ومخالفة من كان له من عدو فصار كالأجنبي من الأول فلم يعطف عليه، واستؤنف ابتداء كلام ليدل على انه قي حكم المنقطع من الأول وليس كذلك الآية التي في سورة هود"([14]).

- حذف الواو للدلالة على عدم التباين بين الصفات:ومن لطائف حذف الواو ما نجد في قوله تعالى:(التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)[التوبة:112] حيث نلاحظ أن هذه الصفات السبع الأولى تلت بعضها البعض دون أن يرد ذكر لحرف العطف، وذلك لسر من الأسرار التي اضطلع بها الذكر الحكيم فهذه الصفات بالجملة جاءت في حق المؤمنين الذين اشترى الله سبحانه وتعالى منهم أنفسهم، وأموالهم بأن لهم الجنة كما أخبر في الآية التي سبقت هذه الآية تعالى:(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)[التوبة:111] فقد ذكرت هذه الصفات عقب هذه الآيات التي تتحدث عن المؤمنين فهم الذين اتصفوا بهذه الصفات ، وهي غير متباينة فيما بينها – الصفات– فجاءت على نسق واحد غير مفتقرة لعاطف بينها ، وتواليها دون عاطف ربما قصد منه الإشارة إلى اجتماع هذه الصفات

والتقائها في موصوف واحد، دون قصد إلى استقلال في الصفة، وفي ذلك زيادة **مبالغة وتعظيم** لهؤلاء الذين اتصفوا بهذه الصفات وعليه جاز فيها القطع والإتباع للمنعوت، أما صفاتا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لما كانتا متباينتين عطف بينهما بالواو، وفي هذا الصدد يقول أبو حيان(ت745هـ): "والصفات إذا تكررت وكانت للمدح أو الذم أو الترحم جاز فيها الإتباع للمنعوت ، والقطع في كلها أو بعضها، وإذا تباين مابين الوصفين جاز العطف، ولما كان الأمر مبايناً للنهي، إذ الأمر طلب فعل والنهي ترك فعل في قوله (والناهون)"([15]). حسن العطف لتضاد معانيها في أصل الوضع فرفع بالعطف وهم مستبعد"([16])، وعلى هذا فما جاز فيه ذكر الواو وتركها تركت الواو لمقتضى المقام ومدحاً وتعظيماً وترغيباً، وذكرت فيما لزمت فيه من المتقابلات كالأمر والنهي أو دفع وهم غير مراد لو حذفت لزمت الواو اقتضاء لغويا بلاغياً([17]).

وفي نظري أن المؤمن قد تجتمع فيه كل هذه الصفات من قوله: التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ إلى الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) ويتحلى بها مع نفسه، لكن النهي عن المنكر أمر صعب قد ينهي الإنسان غيره عن المنكر، لكنه قد لا يتورع عنه هو، وقد نبه الله سبحانه وتعالى في كتابه أن سبب لعن بني إسرائيل كان بسبب عدم تناهيهم عن المنكر قال في شأنهم:(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)[المائدة:78 – 79].

فالنهي عن المنكر أشد وأصعب أنواع العبادات ولذلك ذكرت الواو قبله في نظري للعناية به، وللتنبيه إلى صعوبته عن باقي العبادات، وأكد ذلك بقوله فيما بعد والحافظون لحدود الله وفي حفظ حدود الله اجتناب للمنهيات. يقول الفخر الرازي: "كل ما سبق من الصفات عبادات يأتي بها الإنسان لنفسه، ولا تعلق لشيء منها بالغير، أما النهي عن المنكر فعبادة متعلقة بالغير... فأدخل عليها الواو تنبيهاً على ما يحصل فيها من زيادة المشقة والمحنة "([18]).

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى:(سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا)[الكهف:22]، فقد توالى العطف بين ثلاثة رابعهم كلبهم وبين خمسة سادسهم كلبهم بدون حرف العطف، وعطف بين سبعة وثامنهم كلبهم بحرف العطف الواو ولابد أن في الأمر سر أوجب حذف حرف العطف، والسر في حذف الواو في القولين الأولين أنهما كالجملة الواحدة فلم يحتج إلى عاطف بينهما ويدل على ذلك أن لباري تعالى أردف بعدهما بقوله:(رَجْمًا بِالْغَيْبِ)فرمى القولين بالرجم أي الرمي بالشيء المغيب وكأنهما قولاً واحداً، والواو تقتضي المغايرة ولما كان القولان كالجملة الواحدة ولا تغاير بينهما حذف حرف العطف، وفي ذلك **غرض بلاغي يوحي بالملابسة بين القولين** فالتباسهما وارتباطهما أغنى عن الواو، بينما القول الأخير ذكرت فيه وقيل في زيادتها تأكيد على صحته وأن أصحابه لم يرجموا بالغيب، وقد ذكرت تعليلات وتخريجات حول سر ذكرها في هذا القول([19]).

– **حذف العاطف للدلالة على التلاحم والالتباس بين الآيتين:** وذلك في الآية الكريمة الآتية: قال تعالى:

(**كَذَلِكَ** حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)[يونس: 33] ، هذه الآية شبيهة بقوله تعالى:(كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ **وَكَذَلِكَ** حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ)[غافر:5–6]، والفرق بين الآيتين أن آية غافر ذكرت فيها الواو قبل "كذلك" وحذفت في آية يونس استغناء بالرابط المعنوي بينها وبين الآية التي قبلها فمن حقت عليهم كلمة العذاب هم من

خوطبوا في الآية التي قبلها، – (وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ **هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**)[الأعراف:42] والتقدير "وهم فيها خالدون" فحذفت الواو، وجاءت هذه الآية معطوفة على الآية التي بينت مصير المكذبين والمستكبرين بآيات الله وعطفت عليها بالواو لتغاير حال كلا الفريقين فالفريق الأول مآله إلى جهنم ، والفريق الثاني مآله إلى الجنة، وبما أن بين الجملتين ترابط وامتزاج معنوي استغني عن الواو بينهما فالأولى أخبرت بأن الذين امنوا يستحقون الجنة والثانية بينت بأنهم خالدون في الجنة فجاءت موضحة لها فاستغني عن الواو بينهما يقول العلوي(ت745هـ): إن كان بين الجملتين امتزاج معنوي، وتكون الثانية موضحة للأولى مبينة لها كأنهما أفرغا في قالب واحد، فإذا كانت بهذه الصفة فإنها تأتي من غير واو"([20])، وعليه فإن حذف حرف العطف يوحي **بالتباس** الجملتين أحدهما بالأخرى ، وارتباطها بها أغنى عن الواو([21]). وعليه حذفت الواو لغرض تحقيق الالتباس و التلاحم بين الآيتين.

– **حذف العاطف لغرض الاستئناف البياني(شبه كمال الاتصال):** وحذف الواو لهذا الغرض في جملة من الآيات في الربع الثاني منها: قوله تعالى:

– (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ **هُمْ فِيهَا** خَالِدُونَ)[يونس:26] ما قيل في الآية التي قبلها ينطبق عليها فحذف حرف العطف للملابسة الواقعة بين الجملتين.

– (لاإِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ **قَالَ** يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ) [يوسف:4–5]

– (وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ **قَالُوا** يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) [يوسف:17]، حذف حرف العطف في الآيتين من سورة يوسف يحقق الفصل المؤدي إلى شبه كمال الاتصال – الاستئناف البياني – حيث أغنى عن حرف العطف ، وكأن الكلام على تقدير سؤال ففي الأولى على تقدير فماذا قال يعقوب ليوسف بعد ما عبر له عن رؤياه؟ قال: "قال يابني.."، وفي الثانية على تقدير ماذا قال لهم أبوهم لما جاءوه يبكون؟ قال: "قالوا يأبانا..".

2– الأسرار البلاغية في حذف "الفاء" : الفاء من حروف الربط بين الجمل والمفردات تتنوع مهامها بين العطف والوقوع في جواب الشرط ، وما فيه معنى الشرط ، و للفاء دقائق وأسرار لا يُمكِنُ الإحاطة بها، فقد ذهب النحاة والمفسرون يكشفون خفاياها في الاستعمال على مستوى النصوص، ومما تجدر الإشارة إليه أن الفاء في بعض الأحيان تحذف من الكلام ويبقى ما يدل عليها، أو يحمل حذفها على موضع مشابه ذكرت فيه، ولاشك أن حذفها في التنزيل الحكيم ينطوي على أسرار وحكم نقف على بعض منها في الآيات الآتية:

– **حذف الفاء لغرض الاستئناف البياني(شبه كمال الاتصال):** قال تعالى:(**قَالَ** الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)[الأعراف:60] إذا أمعنا النظر في قوله "قال الملأ" وقارناه بقوله تعالى في سورة هود : (**فَقَالَ** الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ)[هود:27] ، وقوله تعالى في سورة المؤمنون:(**فَقَالَ** الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آَبَائِنَا الْأَوَّلِينَ)[المومنون:24] يترآى لنا أن الآيتين الأخيرتين

ذكر فيهما حرف الفاء قبل الفعل "قال"، بينما تجرد الفعل "قال" من هذه الفاء في سورة الأعراف ولاشك أن ذكره هناك وحذفه هنا لم يكن اعتباطاً لأن القرآن الكريم له ميزان دقيق في حذف الحرف وذكره، والسياق هو الفيصل في الذكر والحذف، وإذا تتبعنا آية الأعراف لاحظنا أن الكلام في الآية ليس له تعلق بالذي قبله وكأن قوم نوح لما خاطبهم وأمرهم بعبادة الله وخوفهم من عذابه العظيم وجهوا له الكلام في صورة خطاب وليس في صيغة جواب عما دعاهم إليه، ولما لم يكن كلامهم في صيغة جواب ناسب ذلك ترك الفاء التي تأتي مع الجواب حتى يصير الكلام كأنه استئناف بخلاف ما في سورة هود والمؤمنون فكأنه لما دعاهم إلى ما دعاهم إليه قالوا مجيبين له كذا وكذا فناسب ذلك دخول الفاء فأدخلت في جوابهم.

ولعلماء المتشابه التفاتات لهذه الآية وأشياعها وحاولوا إعطاء سبب لهذا الاختلاف يقول الإسكافي(ت420هـ):"للسائل أن يسأل فيقول: لأي معنى خلت (قال) في سورة الأعراف من الفاء، وقد جاء مثلها في السورتين بالفاء والجواب أن يقال: إن الموضعين اللذين دخلتهما الفاء ما بعدهما مما اقتضاه كلام النبي مما رآه الكفار جواباً له فكان بناء الجواب على الابتداء يوجب دخول الفاء، وليس كذلك الآية في سورة الأعراف، لأنهم في جوابهم صاروا كالمبتدئين له بالخطاب غير سالكين طريق الجواب، لأنهم قالوا: (**قَالَ** الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) فكان كلامهم له كالكلام الذي يبتدئ به الإنسان صاحبه فلذلك جاء بغير فاء مخالفاً طريقة الكلام ما بعده مبني بناء الجواب"([22]).

إن للسياق أثر كبير في تحديد الحذف، أو الذكر فناسب هذه الآية ترك الفاء لأن ذلك يتفق مع سياقها التعبيري والمعنوي فكان الحذف هو الأنسب فيها من حيث الأسلوب والمضمون وقد حقق هذا الحذف غرضاً بلاغياً **يسمى شبه كمال الاتصال** – وهو المسمى بالاستئناف البياني– وكأن الكلام محمول على تقدير سؤال سأله سائل "فماذا قال قوم نوح لنوح لما قال لهم ما قال، قال: قالوا له:(إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) وهذا يسمى الاستئناف البياني، فصارت الجملة الثانية بمنزلة المتصلة بالأولى، لكونها جواباً لسؤال اقتضته الأولى فتنزل الأولى منزلة السؤال و الثانية تنزل منزلة جواب يتصل ويلتحم بالأولى دون عطف.

يقول عبد القاهر الجرجاني(ت471هـ) في هذا الأسلوب " الذي تراه في التنزيل من لفظ "قال" مفصولاً غير معطوف...جاء على ما يقع في أنفس المخلوقين من السؤال، فلما كان العرف والعادة بين المخلوقين إذا قيل لهم: دخل قوم على فلان فقالوا كذا، أن يقولوا: فماذا قال؟ فيقول المجيب: قال كذا، خرج الكلام ذلك المخرج، لأن الناس خوطبوا بما يتعارفونه، وسلك باللفظ المسلك الذي يسلكونه"([23])، وشبيه بهذه الآية في حذف حرف العطف على شبه كمال الاتصال – الاستئناف البياني – الآيات:(75– 85) من سورة الأعراف)، و(50–61–84) من سورة هود.

حيث حذفت الفاء في هذه الآيات اكتفاء بذكرها في قصة نوح وبالتالي السياق هو الذي يدل عليها والتقدير في جميع تلك الآيات "فقال ياقوم " وهو الأصل، وحذفت **للتخفيف والتوسع** واكتفاء بالرابط المعنوي عن الرابط اللفظي.

والاستئناف في هذه الآيات مظهر من مظاهر جلب انتباه القارئ، والسامع، و هو أحد عناصر التشويق والإثارة في أسلوب القرآن الكريم.

وحذفت الفاء من الكلام في قوله تعالى:(**قَالَ أَنْظِرْنِي** إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ **قَالَ إِنَّكَ** مِنَ الْمُنْظَرِينَ)[الأعراف:14-15] الآية في مقطع من قصة آدم عليه السلام في سورة الأعراف والتي تخللها أمر الله لإبليس بالسجود لآدم ورفضه لذلك بقياس عجيب استخدمه وكل ذلك في أسلوب محاورة بين الرب تعالى، وإبليس عليه لعنة الله، وقد ورد مثل هذه القصة في سورة الحجر وسورة ص، ولكن بشيء من الاختلاف بينها اقتضاه سياق كل آية ومقامها، ولكل مقام مقال، ومن المواطن التي اختلفت فيها آية الأعراف عن آيتي الحجر وص حذف الفاء من قوله" أنظرني" وقوله "إنك" كما نرى في الآية أعلاه بينما ذكرت فيهما (قَالَ رَبِّ **فَأَنْظِرْنِي** إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ **فَإِنَّكَ** مِنَ الْمُنْظَرِينَ)[الحجر:36-37] هذا في الحجر وفي سورة ص:(♦ قَالَ رَبِّ **فَأَنْظِرْنِي** إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَ**إِنَّكَ** مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) [ص:79-81]، والمتأمل للقصة في "الحجر" و"ص" يجد فيها نوعاً من التطويل والإطناب والتأكيد مما اقتضى دخول الفاء، وكذلك لما دخلت الفاء في الطلب ذكرت في الجواب حتى يقع التناسب بين المقاطع وفي زيادتها هنا زيادة تأكيد، بينما وردت القصة في الأعراف موجزة قليلاً عنهما، وخلا الطلب من الفاء فناسب أيضاً خلو الجواب من الفاء وحذفت الفاء **إيجازا واختصاراً**.

يقول الغرناطي(708هـ) في سر الاختلاف بين الآيات الثلاثة: "وجواب ذلك والله أعلم مناسبة ما تقدم كل واحدة من الآي الثلاث من الإسهاب والتأكيد ،أو الإيجاز"([24].) وقد أسلفنا الذكر بأن آيتي الحجر وص فيهما نوع من الإطناب وآية الأعراف فيها نوع من الإيجاز.

وربما تحمل الآية على الفصل المحقق لشبه كمال الاتصال – الاستئناف البياني – أي على تقدير سؤال سائل فما قال إبليس لما قال له الله:(قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ)[الحجر:34-35]، قال:"قال انظرني"، قال: فما قال له الله، قال: "قال إنك من المنظرين" ولا يخفى على متمرس في العربية ما في هذا الأسلوب من بلاغة وبيان توحي بالتحام والتئام بين الجملتين، وشبه اتصال أغنى عن الحاجة إلى الفاء، وقد ذهب الإسكافي([25]) إلى حمل الآية على الاستئناف. وللدكتور فاضل السامرائي كلام جميل أثناء مقارنته بين القصة في "الأعراف" و"ص"، إذ يقول حول هذه الآية: "ثم انظر من الناحية الفنية كيف أنه في "ص" لما ذكر الفاء في قوله:(قال رب فأنظرني) كان الجواب بالفاء كذلك: (قال فإنك من المنظرين)، ولما لم يذكر الفاء في في قوله: (قال أنظرني إلى يوم يبعثون) كان الجواب بدون فاء كذلك: (قال إنك من المنظرين). فانظر كيف أنه لما رأى أن الله تبسط معه في الكلام تبسط هو أيضاً، بخلاف ما في الأعراف فإنه لما رأى السخط الكبير لم يجرؤ أن يتبسط في الكلام بل جعله على أوجز صورة وأقصر تعبير، ولكل مقام مقال"[26].

ومما سقطت فيه الفاء أيضاً في مواطن الذكر والحذف قوله تعالى:(وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ **سَوْفَ** تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ)[هود:93] هذه الآية شبيهة في النظم بآية الأنعام:(قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ **فَسَوْفَ** تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)[الأنعام:135]، وآية الزمر:(قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ **فَسَوْفَ** تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ)[الزمر:39]، ولكن بشيء من التأمل ندرك أن ثمة فرق بين هذه الآيات وإن تشابهت في النظم فآية الأنعام ، والزمر صدرتا بفعل الأمر الصادر عن الله للقوم على لسان الرسول ﷺ، فالرسول مبلغ هذا الكلام عن ربه للقوم، بينما آية هود تجردت من فعل الأمر وصدرت بياء النداء الدالة على قرب المنادَى من المنادِي، والسياق هو الفيصل في ذكر الفاء في الآيتين، وحذفها في آية هود، وحتى نقف على الفرق بين هذه الآيات نلقي نظرة على سياق كل آية، ولنبدأ بالآية التي يتعلق بها موضوعنا في سورة هود، فآية هود جاءت في سياق قصة نبي الله شعيب عليه السلام مع قومه ، فقد أمَرَهم

بأوامر كثيرة، ولكنّهم لم ينصاعوا له، وجادلوه مستهترين ومستهزئين، وهو في كل مرة يعظهم وينصحهم، إلى أن بدأت لهجة الحوار تأخذ منحى التهديد والوعيد، فقال تعالى:(وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ)[هود:89]، وينصحهم بالاستغفار والتوبة، فيبادروه بالعناد والتصعيد في الرد (قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)[هود:91]، فيرد على كلامهم، ثمّ يقودهم إلى النهاية (وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ **سَوْفَ** تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ)، ثمّ يختم للظالمين منهم بالصيحة، ويُنَجّي الله شعيبا والذين آمنوا معه قال تعالى:(وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ)[هود:94-95].

أما في سورة الأنعام أَمْرٌ من الله عز وجل لنبيه محمد -ﷺ- بأن يُعلِن لقومه مهددا ومُتَوَعِّدا، لأنّهم قد تمادَوْا في ظُلمِهم ظانّين أنّهم بِقُوّتهم سيقفون أمام وعد الله عز وجل، ولذلك جاء الأمر من الله لنبيه أن يُذكرهم على جهة التهديد والوعيد بأنّه قد قبل هذا التحدّي، فَلْتعملوا ما أنتم عاملون، على ما أوتيتم من بطش وقوّة، وأمّا أنا فسأبقى أقوم بما أمرني الله به من تبليغ هذه الرسالة والصبر على أوامره، وما ألاقيه منكم، فمن أراد أن يتبعني فله ذلك، ومن أصرّ على التحدّي، وعدم الانصياع، فإنّه لا شك مغلوب، ولن يطول أمد ظُلمه. ففي الفاء إطلالة غضب، وتهديد بسرعة العِقاب لكل من وقف أمام دعوة الحق، وظنّ أنه معجز بقدرته. فَقَبْل الآية الشبيهة بآية هود:(وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ)[الأنعام:133]، ثم أخبرهم الحق تبارك وتعالى بأن ما وعدهم به محقق لا محالة(إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ)[الأنعام:134]، وفيها أيضا بشارة للمسلمين بسرعة القضاء على أعدائهم، وما يترتّب عنه من الاستخلاف، والتمكين، وقد تحقّق ذلك يوم بدر وتبددت ظنون المشركين.

والحديث في آية الزمر قريب في موضوعه من آية الأنعام؛ قوم يكذبون على الله، ويظلمون حتى يخافهم الناس، ثمّ يُطمئن الله أولياءه بقوله تعالى:(أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)[الزمر:36]، إلى أن يقول الحق تبارك وتعالى:(أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ)[الزمر:37]، ثُمَّ ينفي الحق تبارك وتعالى أن يكون لهؤلاء قدرة ما على النفع والضرّ، وبعد كلّ المحاورات، والأدلة يأمر الله نبيه بالقول لهم (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ **فَسَوْفَ** تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ). جاء الأمر من الله بأن يُعلنَ لهم الرسول – ﷺ – على وجه التهديد والوعيد أنّهم إن استمروا على ما هم فيه فسوف يعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم. و سوف تفيد التسويف، وهي للمستقبل البعيد، ولكنَّ اقترانها بالفاء دلّ على هول العذاب، وسرعته ، ومما يدل على قوّته وسرعته أَخْذه لهم أخذ عزيز مقتدر.

ولقد تنبه كثير من العلماء إلى التغاير الموجود بين آية هود وآيتي الأنعام والزمر وعللوا سبب التغاير الحاصل بينها فهذا الإسكافي(ت420ه) يلخص رأيه في:" أنّ العمل سبب الجزاء، ومن ثمّ تعلّقت الفاء بقوله تعالى:(اعملوا)،أو التقدير (اعملوا)، (فسوف تعلمون)، والأمر في آيتي الأنعام والزمر للنبي -ﷺ- بأن يخاطب الكفار على سبيل الوعيد والتهديد. وأمّا في سورة هود فإنه حكاية عن شعيب عليه السلام، لمّا تجاهل قومه عليه فقالوا:(قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)[هود:91] ، فقال لهم: (وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ)، فجعل "سَوْفَ تَعْلَمُونَ" مكان الوصف لقوله: (عامل)"([27]) ، أما الزمخشري(ت538ه): فيرى" إن إدخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل، ونزعها وصل

خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مُقَدّر، كأنّهم قالوا: فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت ؟ فقال: سوف تعلمون، فوصل تارة بالفاء، وتارة بالاستئناف، للتفنن في البلاغة كما هي عادة بلغاء العرب، وأقوى الو صلين وأبلغهما الاستئناف، وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه"([28])[29]، وفي قوله أقوى الو صلين وأبلغهما الاستئناف فيه إشارة إلى تفضيل الوصل بالاستئناف على الوصل بالحرف، ولكننا نقول إنهما في القرآن الكريم كلاهما بليغ في مقامه فمتى اقتضى المقام الوصل بالحرف كان أبلغ من الاستئناف بدون حرف، والعكس. وقد سار على خطى الإسكافي(ت420هـ) والزمخشري(538هـ) غالبية المفسرين وعلماء المتشابه كالطبري(310هـ) ، والكرماني(505هـ)، والرازي(604هـ) والقرطبي(671هـ)، والغرناطي(708هـ)، وابن جماعة(733هـ)، وأبو حيان(745هـ) ، والبقاعي(ت585هـ)،وغيرهم.

وفي ظني أن الآية تحمل على **الاستئناف البياني** ، لأنه الأنسب لمقام المجادلة والحوار فشعيب عليه السلام كان في أخذٍ وردٍ مع قومه نصح وإرشاد وفي الأخير التهديد فعندما أخبرهم على سبيل التهديد (اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ) كان ذلك مظنة أن يسأل منهم سائل فيقول، أو يسألون: فماذا يكون بعد ذلك، فقيل (**سَوْفَ** تَعْلَمُونَ) الآية.

خاتمة:

بعد هذا العرض لهذه الأسرار التي انطوت عليها هذه الحروف الثلاثة يمكن نخلص إلى النتائج التالية:

– حذف هذه الحروف ينطوي على أسرار بلاغية فهي لم تحذف عبثاً في المواطن التي حذفت فيها.

– حذف حرف النداء "يا" مع الرب فيه نوع من التأدب والتعظيم له سبحانه وتعالى، لأن النداء فيه نوع من الطلب، وفي حذف حرف النداء يصير هناك نوع من الالتماس وهو أجود من الطلب لأن الطلب يكون من الأعلى للأدنى وهنا العكس.

– في حذف حرف النداء"يا" بعد ديني وتربوي ففي حذفه إشعار للمؤمن بأن المدعو–المنادى– قريب من عباده، ولا ضرورة لاستخدام الوسائط أثناء دعائه، فهم لا يحتاجون في طلب حوائجهم منه إلى واسطة بل يلتجأون إليه مباشرة في طلباتهم.

– في حذف حرف النداء نوع من الإيجاز والتخفيف والتلطف.

– أثبتت الدراسة أن حذف واو العطف من السياق تنطوي على أسرار ذكرت أثناء الدراسة منها: دفع توهم اتصال المتعاطفين، و للدلالة على عدم التباين بين الصفات، و للدلالة على التلاحم والالتباس بين الآيتين، و لغرض الاستئناف البياني(شبه كمال الاتصال) وغيرها من الأسرار.

– حذف الفاء كذلك ينطوي على أسرار تطرق إليها في صلب الموضوع منها:حذفها لغرض الاستئناف البياني، و لتحقيق ما يسمى عند البلاغيين شبه كمال الاتصال، وللإيجاز والاختصار، وللتخفيف والتوسع.

الهوامش والإحالات:

[1] – دلائل الإعجاز. عبد القاهر الجرجاني. شرح وتعليق الدكتور محمد التنجي. دار الكتاب العربي بيروت.ط3(1420هـ – 1999م). ص121.

[2] – مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي المعروف بالجوهري،عنى بترتيبه محمود خاطر، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1 (1424هـ-2003م). ص131.

[3] – النكت في إعجاز القرآن (في) ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. أبي الحسن بن عيسى الرماني.تح محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام . دار المعارف-مصر-. ط3(1976م). ص76

[4] – البرهان في علوم القرآن.محمد بن عبد الله بن بهادر بدر الدين أبي عبد الله الزركشي.تح محمد أبو الفضل إبراهيم.دار المعرفة بيروت ط 2 (1391 هـ -1972 م).ج3.ص 102.

[5] – خصائص التعبير القرآني ودلائل مصدره..عبد العظيم المطعني. الناشر مكتبة وهبة.(د.ط)(د.ت)ج 2.ص 8.

[6] – مشكل إعراب القرآن.مكي بن أبي طالب القيسي.تح ياسين محمد السواس.دار المامون للتراث دمشق.ط2.(د.ت).ج1.ص308.

[7] – ينظر معترك الأقران.السيوطي.ج1.ص 249.

[8] – ينظر الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز. مختار عطية.دار المعرفة الجامعية السويس.(د.ط)(د.ت).ص276.

[9] – ينظر من بلاغة القرآن.أحمد بدوي.نهضة مصر للطباعة والنشر.(د.ط)(د.ت).ص120.

[10] – تفسيرالكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل.جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري.تح عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض.مكتبة العبيكان الرياض.ط1(1418هـ- 1998م).ج3.ص274.

[11] – الحذف البلاغي.مصطفى عبد السلام أبوشادي.مكتبة القرآن-القاهرة-.(د.ط)(د.ت).ص105.

[12] – المرجع نفسه.ص105.

[13] – الطراز. يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني، دار الكتب الخديوية طبع بمطبعة المقتطف بمصر(1222هـ – 1914م).. ج2.ص32.

[14] – درة التنزيل وغرة التأويل، أبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، تح:د. محمد مصطفى آيدين، مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، ط1. ج2.ص593-594.

[15] – تفسير البحر المحيط ،لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، شرح وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط 1 سنة (1413هـ- 1993م).ج5.ص 107.

[16] – المجيد في إعجاز القرآن المجيد. كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري الزملكاني.تح.شعبان صالح. الناشر دار الثقافة العربية القاهرة.ط1(1410هـ-1989م).ص136.

[17] – أسرار الفصل والوصل. صبيح عبيد دراز .المساهم.ص45.

[18] – تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، للإمام فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر،دار الفكر، ط1(1401هـ – 1981م).ج16.ص210.

[19] – خلاصة ما ذكر في هذه الواو أن هناك من يقول إنها واو الثمانية – واو الثمانية التي تعطف الثامن على السابع – ومثلوا عليها بأمثلة من القرآن قال تعالى (التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (112) التوبة) فجاء في "الناهون " بالواو وهي الثامنة، واستشهدوا بقوله تعالى (وفتحت أبوابها) 73الزمر . قالوا وأبواب الجنة ثمانية ، وفي أبواب النار (فتحت أبوابها) لم تذكر الواو لأن أبوابها سبعة. وبقوله: (ثيبات وأبكار) "5" التحريم، لأن (أبكاراً) ثامن كذلك. وقد رد ابن المنير هذا القول ومن جملة ما قال إن الواو وردت في كل الآيات التي عطف فيها بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال لوحذف الواو = بين ثيبات وأبكار لذهب المعنى المراد.

وهناك من يرى أن هذه الواو هي التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف وهذا قول الزمخشري. ينظر الكشاف،ج3 ، ص 576-577 ، وخصائص التعبير القرآني، ج2 ، ص 14.

[20] – الطراز.العلوي.ج2.ص 46.

[21] – التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية.أحمد سعد محمد،مكتبة الاداب ميدان الأوبرا القاهرة.ط4(1430هـ-2009م).ص371.

[22] – درة التنزيل.الإسكافي.ج2.ص601-602. و ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ،أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي ، تح: سعيد الفلاح ، دار الغرب الإسلامي، ط1(1428هـ – 2007).ص518 وما بعدها ، و أسرار التكرار في القرآن، المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان،محمود بن حمزة الكرماني،تح:عبد القادر أحمد عطا، مراجعة أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة.ص121.

[23] – دلائل الإعجاز.ص185- 186 .

[24] – ملاك التأويل.الغرناطي.ص 490.

[25] – درة التنزيل.الإسكافي.ج2.ص583.

[26] – ينظر التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي ، دار عمار، ط4 (1427هـ – 2006م).ص 103.

[27] – درة التنزيل.الإسكافي.ج2. ص551 وما بعدها.

[28] – الكشاف.الزمخشري. ج3.ص231.